

الاِنْثَى وَالنِّجْلَةُ وَالنِّسَاءُ

الأستاذ عبد الحق فاضل

من الايناس وهو الابصار » . ولكن قارب الحقيقة لولا انه تناولها من معنى الابصار بدلا من معنى الالفة والانجداب .

هو يروى كذلك عن الواسطي قوله : « سمي الانسيون انسين لانهم يؤنسون اي يرون (كلاما بصيغة المجهول) ، وسمى الجن جنا لانهم يجتلون عن رؤية الناس اي يتوارون » . وكلامه هذا عن تسمية الجن صحيح ، لكن هذه الصحة زادته يقينا بصواب خطنه في تسمية الانس الذي يؤيد خطأ الازهرى .

وما حكاية تأثيله .. الانسان ؟

انه من (الانس) .. وهذا من (الانثى) ، نهمنا . لكن من اين جاءتنا هذه الاينثى اللطيفة فاصبحت لنا مصدر الانس والاستثناس والايناس ، بل والانسانية ؟ — الانسان .. هذه الكلمة التي تدل عليك انت القارئ ، وعلى انا الكاتب ، لها قصة حقيقة بالسماع .

وما سمي الانسان الا لنسبيه
ولا القلب الا انه يتقلب

ذلك ما زعمه الشاعر . وكنت اعتقد منذ الصغر انه لم يكن جادا في هذا التخريج اللغظى وانه ائما قال هذا على سبيل التملح والتندير ، تعبيرا عن تشاوئه واستخفافه بطبائع بنى جلدته البشر .

وما كنت احسب ان يمتد بي زمنى حتى اقرا في اللسان : « روى عن ابن عباس انه قال : انما سمي الانسان انسانا لانه عهد اليه فنفى » ! الان ايضا لا اجدني اصدق صحة نسبة هذا الكلام المبهم غير المدلل عليه ، الى ابن عباس .

والمعقول عندي ان يكون اسم (الانسان) متأتيا من (الانس) بالضم ، وهذا من (الانثى) ! ..

على ان ابن منظور يروى كذلك عن الازهرى ان « اصل الانس (كالجنس) والانس (كالامل) والانسان :

شوك النخل الذى شملته التسمية الرمحية لانه طويل يشبه شكله سنان الرمح ، ومنه سنتخرج كل الانفاظ والمعانى التى ستعرض لنا في هذا الحديث .

من الاسل نشأت صيغة السلاء (كالرمان) وواحدته سلاء (كرماتة) : شوكه النخل ايضا . ويحيل لنا ان هذه السلاء هي منشأ فعل سل يسل فلان الشوكة ، اذا ثبّت في جلد فآخرها .. حتى جاء المعجم ليقول لنا سل المرأة شيئاً من شيء واستله : انتزعه واخرجه ، سل سينا : سحبه من غمه ، سل الشعراة من العجين : انتزعها برفق .

وانسل المرأة من الزحام (والاصح عندنا : من الجمع) انسلاا : انسحب مستخفيا . ويظهر ان هذا (الانسلاال) هو منشأ قولهم نسل يسل (كذهب يذهب) الشعر والريش نسولا ، وانسل انسلاال : سقط . والنسيال (كالسؤال) : ما سقط من صوف او شعر عند النسل ، ونسل الوالد ولدا : ولده ، ولابد انه يقصد سبب ولادته لأن الوالد لا يلد وإنما هي صنعة الوالدة . والتناسل : التوالد .

ونود بهذه المناسبة ان نرجى صيغة ، بل صيغتين ، من مادة (ن س ل) بمعنى مستحدث ، هما اولا : (النسيال) نقترح استعماله بمعنى آلة التناسل للذكر والانثى كليهما . صحيح ان الفصحي استعملت (الفرج) بالمعنين لكن هذه الكلمة تخصمت بالمرأة ولم يعد بالامكان استعمالها بهذا المعنى المزدوج دون قرينة مميزة . لكن (النسيال) بصيغة اسم الآلة لكلا الجنسين ي匪 بالرماح . وجمعها مناسيل ، مثل مفتاح على مفاتيح ، ومصباح على مصابيح .

الصيغة الثانية التي نقترحها هي : (المنسل) - زنة الذهب - بمعنى (الجنس) الذي يستعمل في عدة معانٍ منها مقابل (sex) في مثل قولنا الشؤون الجنسية .. ومنها بمعنى السلالة مقابل (race) كالجنس الاصغر .. او مقابل (species) اي النوع من اجناس الحيوان او النبات .. او مقابل (kind) في (mankind) بمعنى :

انها قبل كل شيء منحدرة من (الاس) . وعسى الا يستعجل مستعجل نيون الامر من السهولة بحيث يلوح للنظر السريع . سيقال ان النون اضيف الى (الاس) بكسر الهمزة - فنشأ (الانس) بالكسر ايضا ، وهذه تطورت مصارت (الانسان) .

فأين الانثى ؟ كلا ، لا يكفى تحويل اللفظ دون التفات الى المعنى . ان في المعجم العربى عشرات الالوف من الكلمات ينبعى ان تعرف منها الكثير تستحضره في ذهنك لتتعرف العلاقات القائمة بينها ، شأن المتقنى (*) يجب ان يستحضر في خاطره شخصيات الكثرين من أهل البلد مع صفاتهم وسجياتهم ونزواتهم وخصائص البيئة التي يضطربون فيها ويتعاملون ويتناولون معها ، مع معرفة ما تيسر من ماضيهما وأحداث حياتهم .

فإذا نحن تحرينا شخصيات الانفاظ المتملة بموضوعنا ورجعنا القهقرى بحثا عن الماضي ، وجدنا انفسنا قد عدنا الى (الاس) بالفتح والكسر والضم ، واذا بهذا الاس ينجب لنا الكثير من الانفاظ ، احدها (الاسل) زنة العسل : نبات دقيق الاغصان طويلا واحدته اسلة (زنة بصلة) . وقد اتخذوا منه الرماح ، ثم اطلقوا اسمه هذا مجازا على الرماح نفسها ، ثم على النبل .. ثم على شوك النخل . وصارت (الاسلة) تعنى ايضا : طرف اللسان ، والذراع ، ثم اطلقت على الطرف المستدق من اي شيء .

ومن الاسل نجم : العسل والاصل واليصول والوصل (ومنه الفصل) والعنصل (بالضم) ، وما الى ذلك مما لا شأن لنا به هنا . لكننا نكتفى بالقول ان مادة (اس) من الخصب والساخاء بحيث جهزت معجمنا العربى بالكثير من الانفاظ القيمة الخطيرة . ومن كان قد سايرنا في احاديثنا اللغوية في هذا « اللسان العربى » لا بد انه قد لحظ تكرر عودتنا الى (الاس) في تأثيل مختلف الكلمات .

لكننا نأخذ من كل ما تقدم ذلك (الاسل) بمعنى

(*) زنة المتشفى : الشرطي السرى الذى يتقى آثار الجرمين وغيرهم . وكان العرب يطلقون على فن التقى هذا اسم القيافة .

والعلاقة بين اللسان والسل سجلها الشاعر العباسى المتحذلق فى كلامه على زهرة البنفسج التى تبنت لها زائدة جانبية كالذئابة ، فنسر ذلك بقوله :

رغم البنفسج انه كمذاره
حسنا ، فسلوا من قفاه لسانه !

قلنا انهم سموا اللسان (نسالا) اول الامر ، فنحن الان نطالب القارئ بأن يحاسبنا على ذلك ويطالبنا هو بالدليل .

أولا رأينا انهم قالوا نسل شعر او ريش : بمعنى : سقط . ولقد استعملوا هذا الفعل متعديا ايضا فقالوا نسل شعرا او صوفا : انتفشه واسقطه .. كما استعملوا (النسال) — بالضم — بمعنى ما يسقط من صوف او شعر عند النسل — اى عند انتزاعه وتنفه . فلما عجب اذن انهم استعملوا (النسال) بمعنى اللسان الذى ينسلونه وينزعونه . وقد بقى من معنى الانتزاع قوله انصل شيئا من شيء : اخرجه .

والمسألة هنا ليست مسألة استنتاج وحسب ، فان بعض اللهجات المغربية تسمى اللسان (النسال) فعلا . وقد استغربت حين طرقت النظرة سمعى اول مرة وحسبتها تحرينا عاميا للفصيح ، كما هو شأن الدارجات أحيانا ، لكن التأثير قادنى الى عكس هذا الظن اى الى الاعتقاد بأن (النسال) هو امثل (اللسان) بالفصحي ، واذا بالفصحي هي المحرفة للكلمة .. العامية !

بعد ان استقرت صيغة (اللسان) وثبتت مبني ومعنى — صارت تعنى كذلك ، المقالة ، والثاء ، والرسالة .. والله ..

وهي بمعنى اللغة تنطق بالشين في الاكديمة (= البابلية القديمة) : لشان ..

ومن معنى اللغة ايضا : لسان ابن منظور ، اى معجم « لسان العرب » .. ثم هذا « اللسان العربى » الذى تحت بصرك ..

ثم هم اطلقوا (اللسان) — استعارة — بالإضافة الى ما تقدم — على ما استدق وطال من بعض الاشياء ؛ كلسان النار . حتى النعل اذا استطال صدرها سمه

الجنس البشري .. او مقابل kind اطلاقا او genus او sort بمعنى النوع او الصنف من اى شيء .. او مقابل (nationality) اى الجنسية ، ونقتصر لها : (الرعوية) .. او مقابل (generic noun) اى الجنس فى علم التحو ..

فتخفيضا عن كاهل هذه الكلمة المثلثة بأبعائها نقترح (المنسل) .. مثل المذهب الذى كان يعني اول امره مكان الذهاب اى طريقه ثم صار اسماء يعني العقيدة والنحلة ، وكالمطلب والمأرب والمكب ، وكلها على صيغة اسم المكان لكنها لم تعد لها صلة بالمكان ولا بالزمان . وعلى هذا نسمى الجنس (منسلا) ، والجنسى (منسليا) ، والشؤون الجنسية (منسليات) .. وببقى (الجنس) قاصرا في الاستعمال على (الجنسين) اى (جنس) الرجال و (جنس) النساء ، دونها علاقة بالشؤون التناسلية ، كقولك الجنس اللطيف والجنس الفطيع او الخشن !

اللسان :

لم اجد في المعجم ، لكننا كلنا وجدنا في الكثير من مطالعاتنا قولهم سلوا لسانه : انتزعوه — بشدة طبعا — لا كما يسلون الشعرة برفق من العجين لرقتها اشغالا عليها من ان تنقطع ، لأن المقصود من سل اللسان ما هو الا قطعه . ولا ننس ان الكثير من الاعضاء انما اكتسبت تسمياتها من معنى قطعها او شقها او كسرها (كالذى اوضحناه في فصل « العنف في تسمية الاعضاء » — اللسان العربى : العدد 10 — ج 2 — ص 3) .

وكان سل اللسان في اول امره يخص الحيوان . ومقصودنا انهم كانوا قد سموا اللسان (نسالا) لانهم كانوا ينسلونه اى يسلونه من فم الذبيحة بعد اضاجها طبخا او شيئا ..

على ان اعضاء الانسان المحترم ومنها اللسان لم تسلم من الجائحة . فقد جعلوا يسلون لسانه حيا ، وهو افظع ، عقابا او تعذيبا ، ومثل ذلك انهم كثيرا ما صلموا اذنيه او سلوا عينيه ، ولا بأس علينا ان نلحظ في طريتنا ، استطرادا ، ان الفاظ الصل والسل والنسل مرجعها التأثيلي واحد هو سل يسل سلا ..

فليس بانتى ولكن ملاك
تنزل من جو السماء يصوب

فواضح من صيغة (الملك) أنهم خفوا همزتها
أولاً ظهرت صيغة (الملك) - كالنام - مرادفة
لصيغة (الملك) زنة الفلك .

وقالوا الكه (كفريه) يالكه ألكا : أبلقه الالوك
كالالوف) اي الرسالة . هنا تعرض لنا ملابستة
لغوية ممتعة تورط فيها قدامى اللغويين ، هي انتـ
نجد هذه (الالوك) في قولهم « هذا الوك صدق » ،
وعلوك صدق ، وعلوج صدق : لما يؤكـل « ! كذلك
وقالوا « ألك الفرس لجامه : علىك » .

فاللوك بالمعنىين — الرسالي والطعامي —
ليست بالكلمة الواحدة ، وإنما هما كلمتان من اثنين
مختلفتين ولو أنهما اتفقا نطقا في لفظة واحدة . فاللوك
الرسالية اثنتها كما رأينا هو اللسان .. في حين أن
اللوك الطعام اثنتها الأكل والعلك فالعلق مالعسل .
فمن الأكل : « اللوك صدق : ما يؤكل » ، ومن العلك :
« اللوك الفرس لجامه : علىك » . لكن مسأل الاثنين
كليهما على اختلاف معنييهما هو هذا الأئل المشترك
البعيد الخطير (الأسل) .

«اللبيث : الاولوك : الرسالة وهي الملاكة ، على مفعولة ، سميت الوكا لانه (كذا) يؤلوك في الفم ، مشتق من قول العرب : الفرس يالك اللجم (جمع) ، المعروف يلوك او يعلك اي يمضغ . ابن سيده : اللك الفرس اللجام في فمه يالكه : علكه ، والالوك والملاك (كاملان) والملاكة (كاملعركة) والملاكة (كامكرمة) : الرسالة لأنها تؤلوك في الفم» ! — اللسان فالذى اوقع الليث وابن سيده — على جلالته قدرهما — في الخطأ عند تلمسهما الحقيقة ، هو تطور كلمتين مختلفتين في اتجاه واحد حتى انتهى بهما الامر الى الاندماج في لفظ واحد ، كالذى حدث في تطور كلمات أخرى :

المليك والملك :

انقل المعنى من الملك (كالملك) — الكائن السماوي — الى الرب الالاه اولاً ، مثل كلمة (الرب) نفسها تعنى الالاه والملك والسيد والمصالحة . ثم انقل

لسانا . ومن ثم قالوا لسنت (بالتشديد) شيئا :
جعلت طرفه كطرف اللسان أو جعلته على شكل
اللسان .

وقالوا — استعارة ايضاً — لسنت (كضريرت)
 فلاناً : أخذته بلسانك وذكرته بسوء . ولسنت الجارية :
 تناولت لسانها ترشفاً . ولا نعلم اى أحب اليك ان
 تلسن الجارية ترشفاً أم ان تلسن الناس اغتياباً وتلاذداً ،
 لكن الذي نعلمه ان جانب السوء اخصوص لغوياناً
 تلك الجارية — احسن الله اليها — لم يرد لها ذكر
 بعد ذلك في المجمع ، لكن الذي يرد ذكره فيه هو قولهم
 لسنت العقرب فلاناً : لدغته ، اما تشبيهاً لشكل
 زيانها باللسان (شكل لسان النعل يشبه شولة
 العقرب فعلاً) .. واما لان لسعتها تشبه تقول بني
 الانسان بعضهم على بعض بالشر .

الملك:

يا طالما تحيرت في اثيل قولهم الكنى اليه (زنة
اغتنى) بمعنى : بلغه رسالتى ، او كن رسولى اليه ،
وإذا بكلمة (لسان) وتطور معاناتها تحل لنا المشكلة .
لقد رأينا تو ان (الرسالة) من جملة معانى اللسان .
ومن هذا قالوا السن فلان يلسن السانا (كاحسن
يحسن احسانا) بمعنى : ابلغ رسالة . و قالوا السن
(فعل امر) لي فلانا والستنى (امر بتشديد النون)
فلانا كذا وكذا : ابلغه لمـ كذا وكذا .

ثم هم نطقوها بالكاف بعد ذلك من نفس الوزن على الأغلب : (الكنى) بتشديد النون أولاً ، ثم تحورت الكلمة تخفيها فصارت (الكنى) بسكون الكاف وكسر اللام والنون المخفف وهي الباقية في المعجم وفي شعر العرب . ومنها صاغوا فعل الله يالك (كضرب يضرب) بمعنى ترسل ، أي مارسوا .

هنا يأتي الملك (زنة البلد) الذى تترجمه المعاجم
في مادة (الک) باعتباره قد اشتق منها بصورة (مالك)
- زنة مسلك - اولا ، ثم حذفت همزته ، والهمزة كما
هو معلوم كثيرة التعرض للحذف او التخفيف .
وصار (الملك) يعنى (رسول) السماء . لكن همزته
ظللت تظهر لتبث وجودها في صيغة (ملاك) وهى
مقلوبة (مالك) المنشأة ، فذلك حيث يقول شاعر :

« قالوا للحن (كاللعن) سنة معان : الخطأ في الاعراب ، واللغة ، والفناء ، والقطنة ، والتعريف ، والمعنى » — اللسان .

تضييف إلى معنى الفناء هنا قوله « لحن تلحينا في قرائته : طرب تطريبا وترنما » . والظاهر أنه كان يطلق كذلك على كل صوت منفوم كما هي الحال عندنا اليوم ، فمن هنا فيما نتوه نشا (النحل) لأن لطيرانه طنينا ونفنا ، واحدته : النحلة .

اللحن :

ومن (لكن) كذلك نشا اللحن والتلقين بمعنى الفهم والتقدير . واللحن واللقنة واللقانة واللقانية (كالعلانية) : سرعة الفهم والقطنة (وهذه كما رأينا من معانى اللحن الستة) .

والمتأخرون يستعملون (التلقين) بمعنى التعليم وتحفيظ الكلام أو طلب ترفيذه بعد اللحن . من ذلك (اللحن) في المسرح يساعد الممثلين بالفاظ أدوارهم كلما نسي أحدهم شيئا منها . ومن ذلك أيضا تلقينك محضرا الشهادتين وغيرهما من الأدعية ، أى تتوهك بهما ليزدهما المحتضر بعده . لكن لا اثر لهذا المعنى في المجمع العربي . فهل وجده المعجميون واعتبروه مولدا فلم يأخذوا به ، أم أنه ظهر متاخرًا بعد عهد التعجم (= جمع الماجم) ؟ كذلك يقول معاصرتنا لقنته درسا : انتقمت منه أو عاقبته وجعلته عبرة لنفسه .

اللعن :

أما هذا فيظهر أنه إنما نجم من معنى سلاطة اللسان في (اللسان) آثنا . قالوا « فلان يتلاعن علينا : إذا كان يتماجن ولا يرتدع عن سوء ويفعل ما يستحق به اللعن » .

ثم صار اللعن يعني : السب ، والطرد من الخير . ثم صار التلعين : التعذيب .

اللسن :

جمعوا اللسان على : السنة ، والسن (بضم السنين) ، ولسن (بضمتين) ، ولساتات .

معنى الملك إلى البشر . يقول المعجم أن « المالك والمليك والملك (بكسر اللام أو سكونه) : صاحب الملك والرئيس الحاكم للامة » . أى أن المعنى صار إلى التملك والسلطة ، لكن معنى الإلهية لم يذهب عن الكلمة فان كلا من المالك والملك من الأسماء الحسنى ؛ وقد عبدتا (بالتشديد ، وعلى المجهولة) في التسمية فقبل عبد الملك وعبد المالك . والأية « مالك يوم الدين » يقرأها نافع أحد السبعة وبقراءته يأخذ أهل المغرب « ملك يوم الدين » — ما يدل على أن الكلمتين كانتا سواء عند العرب .

وقد صيغ الفعل ملكت شيئاً تملكه ملكاً (كضربه ضرباً ، وللمصدر صور أخرى) : كنت حائزًا له ومتقنياً (حسب تعريفنا ، اختصاراً لتعريف المعجم) وعلى المجاز قالوا ملك فلان نفسه وتمالكتها : ضبطها وسيطر عليها عند غصب أو شهوة . والملكة (بالتحريك) : الملك . وصارت عند المحدثين تعنى الموهبة والحق الفطري في علم أو من .

ومن معنى الحيازة والسلطان صار المكوت : الملك العظيم ، ثم العز والسلطان . . وصار في التعبير الدينى يعني ملك الله ، أى السموات والإرض .

اللكنة :

ومن مشتقات اللسان : (اللسان) — كالرسن : الفصاحة ، وسلطنة اللسان . واللسون : الكذاب . أما لكن يكن لكنا (كفرح فرحا) ولكنة (لفقة) ولكونة (كعقوبة) ولكونة (كأعجوبة) فتعنى : على ونقل لسانه ، أو كان لا يقيم العربية لعجمة في لسانه .

اللحن :

ومن (لكن) هذه ظهر (اللحن) — كاللبن : اللغة أى كاللسان) أو القطنة (أى كاللحن ، الذى سيأتي حدثه بعد) .

وقالوا لحن (كضرب) فلان : تكلم بلغته ، وهذا المعنى قريب من (لسن) من جهة ، وشبيه بـ (لكن) من جهة أخرى لأن المقصود أن التكلم غير عربي . واللكنة (بالضم) : التكلم بالعربية بلهجتها فيها عجمة ، واللحن : تكلم المرأة بلغته (الأعجمية) .

ودليل على كثرة استعمال السن في المجاز والاستعارة تذكر أنها اطلقت كذلك على شعبة المجل الواحدة من شعب المشط وتنوعات المثار ونحوها ، وعلى الحبة من رأس الثوم ، وعلى مكان البرى من القلم (أى أسلته) ، وعلى حرف فقار الظهر .

والسنة (كالحبة) : الفهدة ، ربما من معنى النعش بأسنانها ، ثم اطلقت على الديبة من باب الخلط التطوري ، بعد ذلك فيما يظهر . وما أكثر ما استعملوا أسماء واحداً لأكثر من حيوان ، بل لعدة حيوانات في بعض الأحيان .

أما السنة (كالسكة) فهي : الفأس لها حدان ، ربما من معنى ظهور الأسنان شفعاً شفعاً في البداية ، فاستعاروا الواحدة منها لتدل على حدى الفأس المزدوجة كلديهما .

السنة :

ومن السن أو أحدي صيغها نشأت صيغة السنة (كالشفة) . ومن تقدير عمر الدواب بالسنوات عند فحص أسنانها اكتسبت (السنة) معنى الجول أى دورة العام .

وتنطق السنة بالبابلية (شتى) ومنها (ريش شتى — resh shatti) : رأس السنة . ولا بد أن اثنان قد كان (شتى) ثم ادمغوا النون في التاء .

وجمعوا السنة على : سنوات وسنوات وسنون (بالكسر) وسنون (بالضم) . ونظن هذا امثل السنون (بالضم) وهو ظاهر موسم يظهر (سنونيا) في صيف المناطق المعتدلة .

وتشعبت الصيغ فقالوا أنسى القوم في موضع ، يسنون أنساء : ليثوا فيه سنة .

لكنهم إذا ذكروا السنة مطلقة قصدوا بها الإرثمة أو السنة الجديدة ، في مثل قولهم : أصابتهم السنة . وهو دليل على أنه منها نشأ الأسنان (كالاحسان) ، فكما قالوا أنسنوا يسنون (كأنمسوا يمسون) قالوا أنسنوا يسنون أنساناً فهم مسنون : أصابهم سن (بالهاء ، لا بالتاء) وقطط واجدبوا . وهذا منشأ قولهم المستنة (كالمحسنة) والستنة (كالشرسة) :

ثم قدر الله أن يسقط اللام عن أحدي هذه الصيغ أو أحدي صيغ أخرى منقرضة — حين استقلوا ان يقولوا : الالسنة والالسن واللسن .. فقالوا السن (زنة الجن) . ثم كان ان تخصمت هذه الصيغة بهذا العظم الصغير النابت في الفك . وجمع السن : أسنان وأسنة (كجمع السنان !) وأسن (كجمع الكف على اكف) .

والتسمية جاءت فيما نظن عن طريق العقرب فالمعنى . ذلك بأنهم قالوا : لسننته العقرب الآنفة الذكر ، بمعنى لدغته كما رأينا ، ثم قالوا : لسننته الحية ، بنفس المعنى . وابدال النون باءاً له في العربية اشباه وإن كانت قليلة ، منها تحب عليه : تحنن ، وبث خيرا : نثه .

والحياة لا تلدغ بذنبها كالعقارب بل بنابها أى بسنها ، فمن أجل هذا انتقل معنى اللدغة إلى العضة ، قالوا سن فلاناً يسن سناً (زنه شده يشده شداً) بمعنى : عضه بأسنانه أولاً ، ثم بمعنى طعنه بالسنان ، استعارة ، أى ان سنان الرمح هذا هو الذي نجم من سن بني آدم والعياذ بالله ، لا العكس . وإن كان بهذا التخريح قد برأنا أخانا الحيوان ضمنا ، فلاناً نتوهم ان التسمية جاءت من أول عضة تتلقاها الام الرؤوم من رضيعها الناكر للجميل حين يستمتع بتجربة سنيه الجديدين في عرض حلقة الثدي الذي سقاهم مادة الحياة .

ومن رهافة السن ومضائقها — ولعلها سن الرضيع أيضاً — جاء قولهم سن سكيناً : شحذه واحدة ، أى جعله حاداً ماضياً كالمسن ! ثم قيل سن رمحاً وسننته وأسنـه (وكلها بالتشديد) : ركب فيه سناناً .. وأصل المعنى : ركب فيه سناً ! .

وكانوا وما زالوا يقدرون أعمار بعض حيواناتهم بفحص أسنانها . ومن هنا صارت السن — وهي مؤئنة — تعنى العمر نفسه . يقال : كم سنك .. أى عمرك ؟ وقد أجاب أحد الملحقين : انتنان وثلاثون ! يعني عدد أسنانه . فقال السائل : ما سنك ؟ .. فأجيب : عظم ! .. في حكاية مشهورة .

ثم ان العرب قالت أنسن رجل : شاخ ، بعد ان قالوا أنسن صبي : نبتت أسنانه .

الدين النسبيه . وهي تنطق في الفارسية (نسيه)
— زنة نسبة — بمعنى البيع بالدين .

وناتي الى (النسو) — كالنحو — فمن قولهم
(نسا ينسا نسا) بالهزة ، ظهر (نسا ينسو نسا)
بتخيفها : ترك عمله . و النساء ينسوه شيئاً : امره
بتركه .

اما جموع المرأة : النسوة والنساء والنسوان :
فهي لنريا اي تأثيليا من باب (الناس والانسان) ، ولو
ان المجبين يدرجونها بدون مناسبة في باب (النسو)
هنا . خدعهم هذا الواو في اللفظ دون ان يعيروا المعنى
التقانى .

ومن قولهم آتنا (انساه شيئاً) : امره بتركه ،
او من صيغة مماثلة صار قولهم (انساه شيئاً) يعني :
جعله ينساه — والفرق ان هذه الاخيره مدرجة في مادة
(ن س ي) ، بينما الاولى في مادة (ن س و) . وبتعبير
آخر انه لما كانت (نسا ينسو نسا) تعنى :
ترك عمله ، صارت نسى (كثrog) نسيا ونسيانا ونسانية
(كبنائية) ونسوة (كندوة) ونساوة (كعداوة وعلاوة) :
ضد تذكره . (واذا طلبت في المجمع تذكرت شيئاً ،
قال لك : ضد نسيته) : لهذا نقول للقاريء في تعريف
النسيان ولو انه لا يحتاج الى تعريفه انه : غياب
الشيء عن البال .

ونذكر على سبيل الترقى عن قارئنا العزيز جداً ،
والتحذيف من جهة الموضوع ، قول احد الظرفاء
العراقيين ، في النسيان — ولا اعرف اسمه — لانى
(نسيته) :

تدبلغ النسيان بى انه
لم يبق لى بالا ولا حسا
نصرت اما عرضت حاجة
تهمنى اودعتها الطرسا
وصرت انسى الطرس في راحتى
وصرت انسى انسى انسى انسى !

اثنان :

لا بد أن بعض العرب نطقوا السن بالثناء ، وكانوا
عندهم — في عهد لغوى سحيق — يجمعون بالالف

الارض لم يصبها مطر ، ثم قولهم رجل سنت (كثرس)
تليل الخير .

« واصل السنة سنها بوزن جبهة فحذفت لامها
ونقلت حركتها الى التون فبقيت سنة لانها من سنها
النخلة وتسته اذا لقى عليها السنون . قال ابن
الاثيم : وقيل اصلها سنة (كصحوة) بالواو فحذفت
كما حذفت الهاء لقولهم تسته اذا اقيمت عنده
سنة » — اللسان ، مادة (س ن ه) .

يرى قارئنا الكريم من هذا وامثاله ان الاقديمين
كثروا ما تناولوا المعانى والانفاظ وحاولوا معرفة نشوء
بعضها من بعض لكتهم في حالات غير قليلة عكسوا
الامر فخلوا البرع اصلاً والاصل فرعاً ، كما
يتعلون هنا .

ثم قالوا سائى فلانا مساناة وسناء (كسلاما) :
استاجره او عامله لسنة .

ونطقو السنوات (سنها) كما تقدم ، كما
نطقو المساناة (مسانه) بمعناها الانف . والفعل
سنة يسنه سنها (كفتح فتحا) : مرت عليه سنون .
وسنة طعام او شراب : تغير (وهذا من باب المبالغة
كأنما مرت عليه سنها) .

وسائتها رجال : عاملته بالسنة . والنخلة سائتها :
حملت سنة بعد سنة .

لكن مادة (س ن ه) ايضا لم تخلي من معنى
الجذب فنالوا السناء من النخل : التي اصابتها السنة
المجيبة ، او التي تحمل سنة ولا تحمل اخرى .

النسيان :

من السنة والمساناة ظهر النساء (كالسماء) :
طول العمر .. وواضح ان المقصود كان كثرة (السنين) .
اما النساء (كالنشء) فمعناه : التأخير يكون في
العمر او في الدين ، والنساء (كالنشاء) والنسبية
(كالبريئة) : التأخير والتاجيل . ومن ذلك جاء قولهم
نسئت المرأة : تأخر حيسها .

ومن معنى التأخير والتاجيل قالوا انساته الدين
او البيع : اخرته ، اي جعلته مؤجلاً . واسم ذلك

١٥ اللسان

وعلى هذا كان من جملة تفسيراته الآية « انك
بالواد المقدس طوى » ، قوله ان المقصود هو الوادي
المقدس مرتين .

نجد (طوى) بنصها (*twa*) في السكسونية بمعنى الاثنين أيضاً . وقريب منها النطق الإيطالي (دو - due) وقد انلست الكلمة شيئاً في (دو - du) بالفارسية والسنگريتية ، ولا نعلم كيف كانت تنطق فيما أول أمرها . لكننا نجد من آثار الانجلوس صيغة (*deux*) الفرنسية التي يثبتون فيها الحرف الأخير كتابة ويحذفونه تماماً ، ويجمون الحرفين الثاني والثالث في حركة مديدة واحدة .

الانشى :

تعرض لنا في طريقتنا (تقليلية) لغوية غريبة ..
هي أن صيغة (الاثنين) - ثنائية الثنئي - تعنى شيئاً
خاصاً بالذكر اي غدتي، الذكوره ..

الانشى ، يقول المجمع انها خلاف الذكر ، واذا
رجعنا الى الذكر قال لنا انه خلاف الانشى ! فاذا لم
نكن نعرف احد النتبضين سلنا في هذا واثاله كالنور
والظلمام ، والليل والنهر ، والتريب والبعيد ، والتوى
والضعف .. فقد ضعنـا .

مهما يكن فما من أحد يجهل أن الانثى هي الجنس الذي يحمل ويلد من الحيوان ويزهر نither من النبات ، وإن الذكر هو الجنس الذي يلتف ويترك المقادير تجري في اعنتها .

الاثني من أين نشأت؟ وما علاقتها الإيجابية أو السلبية بالاتثنين؟

**يقول المعجم ان الاثنين : مثني الاثنى . الخصيتان ،
الاذنان . واثيا الفرس : ربليا فخذبيها ، والاثنيان من
احياء العرب : بجبلة (كتبيلة) وقضاعة .**

والثون (✿) ، فجاء جمع السنـ (ثـانـ) بـدـلـ (ـسـنـانـ) وـ (ـالـثـنـةـ) بـدـلـ (ـالـسـنـةـ) — بالـكـسـرـ ، وبعد شـيـءـ منـ التـحـوـيـرـ التـطـوـرـيـ نـجـمـتـ (ـالـثـنـيـةـ) زـنـةـ الـهـمـيـةـ : واحدـةـ الشـنـيـاـ ، وهـىـ الـاسـنـانـ الـأـرـبـعـ فـيـ مـقـدـمـ الـفـمـ ، (ـثـنـانـ) منـ أـعـلـىـ وـ (ـثـنـانـ) منـ اـسـفـلـ .

هذا يفسر لنا كيف صارت (الثنتان) تعنى العدد
الذى بين الواحد والثلاثة ، اي ضعف الواحد — لأن
هذه (الثنايا) الاربع تبنت (اثنتين اثنتين) . ثم انبثقت
صيغة المذكر (اثنان) التى تشبه جمّع السن على
اسنان .

وسرعان ما صاغوا بعد ذلك الفعل : ثني يثنى
(كجئي يجئي) شيئاً : « طواه أو عطفه » – أي طوى
الثوب مثلاً وعطف الفصن وثناء (بالتشديد) ثنتيني :
جعله اثنين . وصارت : (اثناء) الشيء و (ثناء) الشيء :
تضاعيفه ومطاويعه ، و (اثناء) الحياة : مطاويعها اذا
(شتت) .

والثنيان (كالبنيان) : « الرجل بعد السيد » ، اي الثاني في الرياسة » ، او بتعبير آخر : الذى يلى الرئيس ويحل محله اذا غاب . ونحن اليوم بحاجة الى احياء هذه الكلمة في عربتنا المعاصرة .

ان فعل (طوى طيا) مرادف لفعل (ثني ثنيا) وقد جعل العرب ~~لكل~~هما علاقة بالعدد (اثنين) لكن بطريقة متعاكسة . ذلك ان (الثني) نشأ من (الاثنين) ، في حين ان (الطى) منه نشأ (الطوى) — زنة المدى — بمعنى التثنية ايضا . اللسان : « واذا كان طوى وطوى (بضم الاول او كسره ثم فتحة منوفة) هو الشيء المطوى مرتين فهو صيغة بمنزلة ثني وثني (بالضم او الكسر كذلك) » ، كما قال الشاعر :

إِنْ جَنْبَ بَكْرٍ قَطْعَتْنِي مُلَامَةً ؟
لَعْمَرِي لَقَدْ كَانَتْ مُلَامَتْهَا ثَنَى

وقال عدى بن زيد:

اعائل ان اللوم في غير كنهه
على طوى من غير المتردد »

* يراجع كلامنا عن «التنمية والجمع» في كتابنا «مغامرات لغوية» و «اللسان العربي» — المدد 5 غشت 1967.

لكن لماذا اختارت الكلمة (الأنثى) بالمرأة دون الرجل ما دام الانثان - الزوجان - رجلاً وامرأة؟ واضح للمرة الثالثة أن السبب قد كان نحوياً، قبل ظهور علم النحو يقررون نجاح تعدادها. ذلك أنهم عند ما أفردوها (الاثنين) جاء المفرد بيدهم (الأنثى) وهي صيغة تائين كالحبل، فاختارت من أجل ذلك بالمرأة. وجعموا الأنثى على: ائـاث وـانـثـ (كسـفـ) وـانـاثـ (ـكـبـالـ) .

واستخرجت من (الأنثى) اشتقاتات تدل كلها على الرقة واللين. قالوا هذه امرأة ائـاثـ: إذا مدحت بأنها كاملة من النساء. والمؤنـثـ: الرجل المشبه بالمرأة في لينه وتكسر أعضائه. وـانـثـ تائـنـاـ: جعله مؤنـثـاـ أو عـدـهـ اـئـاثــ أوـ خـثــ (بالتشديد) ... وـيلـدـ اـئـاثــ: لـينـ سـهـلـ ، ومن ثم ظهر قولـمـ مـكـانـ اـئـاثــ: إذا أسرعـ بـنـاتـهـ وـكـثــ . وـيرـوـيـ لـناـ اللـسـانـ تـخـرـيجـاـ طـرـيـقاـ حيثـ يقولـ: «ـوزـعـ أـبـنـ الـاعـرـابـيـ انـالـمـرـأـةـ انـمـاـ سـمـيـتـ اـئـاثــ مـنـ الـبـلـدـ اـئـاثــ ، قالـ: لـانـ الـمـرـأـةـ الـيـنـ مـنـ الـرـجـلـ ، وـسـمـيـتـ اـئـاثــ لـلـيـنـهاـ» . ومن قولهـ «ـزـعـمـ» يتضحـ انهـ لاـ يـنـقـعـ مـعـهـ . لـاـ تـلـومـ اـبـنـ الـاعـرـابـيـ فـيـ تـخـرـيجـهـ هـذـاـ فـيـ ذـلـكـ الزـمـانـ بدـلاـ مـنـ انـ يـقـولـ العـكـسـ ايـ انـ اـشـتـقـاتـ اـئـاثــ هـيـ التـيـ اـكـتـسـبـتـ معـنـيـ الـلـيـنـ مـنـ الـمـرـأـةـ . كـانـ القـوـمـ يـخـبـطـوـنـ فـيـ كـلـ اـتـجـاهـ بـحـثـاـ عـنـ الـحـقـيـقـةـ . نـمـرـحـ لـهـمـ فـيـماـ اـصـابـوـاـ فـيـهـ ، وـلـاـ لـوـمـ عـلـيـهـمـ اـنـ اـخـطاـوـاـ لـكـنـ هـذـاـ لـاـ يـمـنـعـ اـنـ فـيـمـ مـنـهـمـ بـيـنـ الـاذـكـيـاءـ الـمـعـمـعـينـ وـالـسـطـحـيـنـ الـخـرـافـيـنـ .

وانقلـتـ الانـوثـةـ إـلـىـ السـيـوـفـ ! وـفـيـ صـرـاعـهاـ معـ السـيـفـ غـلـبـتـهـ وـبـسـتـهـ معـنـيـ الـلـيـنـ بدـلاـ مـنـ انـ يـكـسـبـهاـ معـنـيـ الـصـلـابـةـ وـالـضـاءـ . قالـواـ اـئـاثــ مـنـ السـيـوـفـ وـالـثـنـاثــ وـالـمـثـنـاثــ وـالـمـؤـنـثــ: ماـ كـانـ مـنـ حـدـيدـ غـيرـ ذـكـرـ ! ايـ ماـ كـانـ حـدـيـدـتـهـ لـيـنـةـ .. اـئـاثــ !

الختـنىـ :

انـ اـبـدـالـ حـرـفـ الـخـاءـ بـالـهـمـزةـ قـلـيلـ فـيـ الـعـرـبـيـةـ لكنـهـ مـوـجـودـ ، مـثـلـ: الـابـاشـ وـالـخـبـاشـ (ـبـالـتـشـدـيدـ) : الـكـاسـبـ ، وـالـتـاـوـدـ وـالـتـخـوـدـ (ـبـالـتـشـدـيدـ) ... وـمنـ ذـلـكـ اـيـضاـ: اـئـاثــ وـالـخـتـنىـ .

وـحسبـناـ هـذـاـ مـادـةـ لـلـتـمـيـصـ وـالـسـتـنـاجـ . فـتـأـملـ هـذـهـ المـعـانـىـ عـزـيزـنـاـ الـقـارـيـءـ وـتـعاـونـ مـعـنـاـ فـيـ اـسـتـخـلـاصـ الـحـقـائقـ الـجـلـيـةـ مـنـ هـذـاـ الـخـلـيـطـ الـغـامـضـ ، ثـمـ قـلـ لـنـاـ مـاـ عـلـاتـ الـقـبـيلـيـنـ الـعـرـبـيـيـنـ الـكـبـيـرـيـنـ بـجـيـلةـ وـقـضـاعـةـ بـالـأـنـثـيـنـ وـرـبـلـتـيـ الـفـخـذـيـنـ مـنـ الـفـرسـ؟

مـنـ الـوـاضـعـ جـداـ مـنـ تـدـيرـ هـذـهـ المـعـانـىـ انـ (ـالـأـنـثـيـنـ)ـ مـجـردـ تـحـرـيفـ مـنـ (ـالـأـنـثـيـنـ)ـ لـذـلـكـ اـطـلـقـوـهـاـ عـلـىـ اـشـفـاعـ كـثـيرـ مـنـ الـأـشـيـاءـ - قـيـاسـاـ عـلـىـ الـثـيـتـيـنـ اـيـ السـنـنـ الـإـمـامـيـتـيـنـ - بلـ رـيـماـ اـطـلـقـوـاـ (ـالـأـنـثـيـنـ)ـ عـلـىـ كـلـ شـفـعـ اـيـ عـلـىـ كـلـ قـرـنـيـنـ مـتـلـازـمـيـنـ مـنـ الـأـشـيـاءـ، وـعـلـىـ كـلـ الـأـعـضـاءـ الـمـزـدـوجـةـ ، ثـمـ زـالـتـ تـلـكـ الـمـادـةـ الـلـفـوـيـةـ الـتـيـ كـانـتـ قـيـاسـيـةـ فـيـمـاـ نـظـنـ وـتـخـلـفـتـ مـنـ آـثـارـهـ هـذـهـ الـاـشـقـاعـ الـتـيـ يـذـكـرـهـاـ الـمـعـجمـ ، وـمـنـهاـ قـبـيلـتـانـ كـانـ لـهـمـ شـائـهـاـ بـعـضـهـاـ مـعـ بـعـضـ مـنـ خـاصـمـ وـوـنـامـ .. غـيرـ ذـكـرـهـاـ مـعـاـ كـانـ يـقـالـ بـكـرـ وـتـغلـبـ ، وـكـمـ لـاـ يـزـالـ يـقـالـ الـيـوـمـ فـيـ نـجـدـ وـأـنـجـاءـ بـادـيـةـ الشـامـ : شـمـرـ وـعـنـزـةـ .

«ـوقـالـ اـبـنـ سـيـدةـ : وـقـولـ الـفـرـزـدقـ :

وـكـنـاـ اـذـاـ الجـبـلـ صـمـرـ خـدـهـ
ضـرـبـنـاهـ تـحـتـ الـأـنـثـيـنـ عـلـىـ الـكـرـدـ *

قالـ يـعـنـيـ الـأـنـثـيـنـ ، لـانـ الـأـنـثـيـنـ مـؤـنـثـةـ » اللـسـانـ .

وـمـاـ نـرـاـنـاـ نـوـاقـقـ اـبـنـ سـيـدـهـ عـلـىـ تـأـوـيـلـهـ هـذـاـ لـانـ مجردـ كـوـنـ الـأـنـثـيـنـ الـوـاحـدـةـ مـؤـنـثـةـ لـاـ يـبـرـرـ تـسـمـيـةـ الـأـنـثـيـنـ اـئـاثــ ، فـالـعـيـنـ اـيـضاـ مـؤـنـثـةـ وـمـثـلـهـاـ الـيـدـ وـالـسـاقـ وـالـخـاصـرـةـ .. الخـ .. وـانـهاـ الصـوابـ مـاـ قـلـنـاهـ ، وـهـوـ انـ الـأـنـثـيـنـ سـمـيـتـ اـئـاثــ لـأـنـهـاـ اـنـثـانـ ، شـائـهـاـ شـانـ رـبـلـتـيـ الـفـخـذـيـنـ وـتـيـنـكـ الـقـبـيلـيـنـ .

فـمـنـ هـنـاـ اـطـلـقـوـاـ (ـالـأـنـثـيـنـ)ـ عـلـىـ الـفـدـتـيـنـ الـخـاصـتـيـنـ بـالـذـكـورـةـ ، كـذـلـكـ .

وـبـشـيـءـ مـنـ التـأـمـلـ يـبـدـوـ مـنـ الـوـاضـعـ - رـيـماـ جـداـ اـيـضاـ - انـ لـفـظـةـ الـأـنـثـيـنـ اـطـلـقـتـ عـلـىـ الـقـرـنـيـنـ مـنـ بـنـيـ الـإـنـسـانـ: الـمـرـأـةـ وـالـرـجـلـ ، مـثـلـماـ نـقـولـ الـآنـ: الـزـوـجـينـ .

* الـكـرـدـ ، زـنـةـ الـطـرـدـ : أـصـلـ الـعـنـقـ .

ويُنطق بالعراقيَّة (ونَسَة) — بالكسْر . ويقولون بالموصلية مثلاً : كلوَ معاً عالوِنْس ، اي كلوَ معنا للإثنَيْس (اي للانس والابناء) . لكن معنى السرور والبهجة في (الانس) تديم عند العرب مع انه اختَس من هذه الصيغة في معاجمهم . دليل ذلك انهم كانوا في الجاهليَّة يسمون يوم الخميس (مؤانسا) — « لاتهم كلوَ يميرون فيه الى الملاذ » — اللسان .

وإذا كانت (الاثنَى) هي مصدر (الانس) بمعنى الالفة والتمازج الروحي أول الامر فقد عدم المعنى فشمل الجنس الخشن ايضاً باعتبار كل من القربيين (انساً) لآخر ، فليست المرأة اقل (استثناساً) برجلها منه بها ، فمن هنا أصبحت صيغة (الانسان) تشمل الاثنَيْن ، حتى لقد ندر عندهم تأثيرها على (انسنة) .

ولعل هذا مع ما تقدم من ملخصات وتأثيلات يؤيد للقارئ تخطيَّتنا للشاعر — الا اذا كان مازحاً — في قوله : وما سمي الانسان الا لنسبيه .

ومن الانسان طبعاً نشأت (الإنسانية) بمعانيها الجليلة . لكنهم كثيراً ما يصنفونها بالمعنبة ، مع الاسف ، ولعلها أصدق او صافتها ، ولا سيما انها هي المعنبة لنفسها .

والانسان نطقه بعضهم (اليسان) ليقول قائلهم : ما رأيت ثم ايساناً . وهم يجمعونه على ايسين . لغة طيء .

ونطق نون الانسان ياءاً عند بعضهم يذكرنا بنطق سين الناس تاءاً عند آخرين ، في قول شاعرهم :

يا قبح الله بنى السملة
عمرو بن يربوع شرار النات
ليسوا بأخيار ولا اكبات !

لكن هؤلاء لا ينطقون سين تاءاً في (الناس) وحدها بل في كل الانفاظ الماثلة كما نرى في الاكياس ، اي الاكياس (من الكياسة) .

* المعجم العربي يُعرف الانس بأنه خلاف الوحشة ، ويعرف الوحشة بأنها خلاف الانس !

وقد كانت الكلمتان متراجفتين أول امرها بدليل اطلاقهم (الختنى) على (الاثنى) . ومن ذلك ايضاً قولهم ختنه تخنياً بمعنى اثنَى تائيناً ، ثم استعمالهم التختن بمعنى الثنى والتكسر من الرجل والنساء ، وهو شبيه بقولهم تائث تائثاً : صار اثنى ، او لأن وتساهل . ثم يبلغ في معنى اللين والتساهل حتى انتهى الى الضعف حيث قالوا تختن المرء (رجلاً او امراً) : سقط من الضعف .

اما الخناث (كالخلاف) فهو بالعراقيَّة : منسل المرأة او غيرها من اناث الحيوان .

ويقول اللسان : « واصل الاختناك : التكسر والقتنى ، ومنه سميت المرأة ختنى ». هنا ايضاً يكون الصريح المعكس ، اي ان الثنى والتكسر هما اللذان نجمَا من الاثنى والختنى .

ثم اطلقَت (الختنى) على الانسان الذي له اعضاء الرجل والمرأة معاً .

الانسان :

ولا نرى كبير مخكرة العرب في استعارة مجازى الثنى واللين والسهولة والخصب من الاثنى للكثير في الاشياء ، فان هذه الخلل يحسها ويستطيعها الرجل من جميع الاقوام ، وانما يستأهل العرب التقدير لعمق احساسهم بالمعنى (الانساني) الكبير في العلاقة بين (الاثنى) — الرجل والمرأة — واستيلادهم منها معانى الانس والابناء والناس .. والانسانية !

فالاثنى احسن العرب في وجده أنه انها لم تكون له مادة استمتاع منسلٍ وحسب ، بل هي كذلك سكن والف ونصف متمم . فمن اجل هذا لما نشأت لهم من (الاثنى) صيغة (الانس) خلعوا عليها معنى الطمأنينة والرکون والانجذاب وكل المعانى المضادة للوحشة * .

وظل المعنى يتتطور حتى صار يدل على البهجة والانشراح ، نجد ذلك باتياً في الدارجات .

وقالوا كذلك ان «النواس (كالصراف) : الناس يكون من الانس والجن ، جمع انس ، اصله انس ، جمع عزيز ادخل عليه الـ » — اللسان .

اما الجمع الاتنوى فله عديد من الصيغ : النسوة (بالفتح او الكسر) والنساء والنسوان (بالضم او الكسر) والنسون (كالمثون) والنسنين (كالفسلين) ، وكلها جموع (المرأة) التي لا جمع لها من لفظها .

من معنى (الانس) بالضم ، ايضا سميت النار : مانوسة والمانوسة والاتيسة . اللسان : « ويسمونها السكن (بالتحريك) لأن الانسان اذا آنسها (اي ابصرها) ليلا آنس بها وسكن إليها وزالت عنه الوحشة وان كان بالارض الفقر » . وهذا عين المواب ، لأن الابصار قد جاء اولا من هذا السكن — الذي هو ايضا من أسماء النار — وزوال الوحشة عند رؤية النار ليلا لأنها كانت للمسائر والمنتقطع بشيرا بالوصول الى ناس من البشر يؤنس بهم ويلتجأ اليهم ويوجد لديهم على الأغلب زاد وقرى ، ولا سيما ان اجاويد العرب كانوا يوقدون النار في الليل على رؤوس الاكلام والمشارف لاستجلاب الضيوف من جائع وتأله وملهوف .

و (السكن) بالتحريك : « ما يسكن اليه وفيه ويستأنس به ، والرحمة ، والبركة » . فإذا هم اطلقوا هذا (السكن) المبارك على النار كما تقدم فلا عجب ان يطلقوا عليها كذلك (المانوسة) بمعنى المانوس بها و (الاتيسة) وهي من صيغ المفعولية ايضا . ثم هم لكتة ذكرهم ايها وحبهم لها وعرفائهم لفضلها استقروا عنها اداة التعريف اكبارا واحتفالا قدموها (مانوسة) .

وصاروا يقولون (آنس نارا) بمعنى آنس بها ، ثم بمعنى احسست بوجودها وتوقعت رؤيتها ، مثلا نقول آنست فيه مخايل النبل والشرف اي توسمتها فيه او شتمتها منه . ثم انتقل معنى (آنس نارا) الى الرؤية .

من معنى التوقع الذي نخمنه ظهر قولهم « استأنس : استعلم » (اي بحث عن المتوقع من الامر اولا ، ثم بمعنى سأله ليعلم ما لا يعلم) .

وتباينا على معنى الابصار قالوا « آنس صوتا : سمعه » .

وقالوا « جارية آنسة : طيبة الحديث » . المتأخرن صاروا يطلقون (الآنسة) على العناء ، او بعبارة ادق على الانثى البشرية التي لم تتزوج . ولم يتلقنوا الى ان هذا المعنى اذا قورن بالمعنى القديم صار المفهوم منها ان الانثى اذا تزوجت خبث حديثها . ان النكات تكثر عن ثرثرة الزوجات لا عن خبث حديثهن .

اما الليث فيقول : « جارية آنسة : اذا كانت طيبة النفس (كالتفع) تحب قربك وحديثك » — وهذا يحمل نتيجة المقارنة اوجع ، لأن هذا الاستعمال الحديث يحرم المتزوجة من هذه الشمائل الحلوة . ومن رايى ان على الازواج ان يقدموا احتجاجا على ذلك ، ان كانوا غير موافقين عليه .

ومن (الآنسة) نشأت صيغة (العائس) . واختصت بالمرأة التي تبقى زماما غير متزوجة ، بعد البلوغ . (وقد تطلق على الرجل) ، ومن هناك صيغ الفعل عندها اهلها تعنيسا : حبسوها عن الزواج حتى جاوزت فتاء السن ولما تعجز .

ولكلمة معان اخرى نكتفى منها بهذا الذي ذكرنا لفضح تحيز التطور ومجاهاته النصفة بين لفظتين مشتقتين من مادة واحدة فيحالي هذه (الآنسة) ويحور على الاخرى (العائس) .

و (الانس) بالكسر : « البشر ، غير الملائكة والجن » ويمكننا ان نضيف : وغير الشياطين . بالعراقة يقولون : « لا انس ولا جنس » تعبيرا عن خلو المكان من كل ذي حياة . اي انهم ينطقون الجن (جنس) اتباعا .

و (الانس) بالتحريك ، يعني : الجماعة الكثيرة . ومن الغريب ان الخنث (كالشرس) ايضا تعنى شيئا قريبا من ذلك اي : الجماعة المترفة ، مما يؤيد الصلة بين مادة الانثى والخنثى والانس (اي الناس) .

وجمع الانس : آناس (زنة آمال) . ولا بد ان هذا او شبيهه قد كان امثل (الناس) . ويقول المجيئون ان (الناس) : جمع (الانسان) ، وليسنا متكلدين من صحة ذلك لأن لدينا بمعنى جماعة البشر : (الانسان) ايضا . وهي تشبه صيغة الانثى (كالحبابي) التي مرت بنا قبل ، جميع الانثى .

الإنكليزية لا الفرنسية ، أي (اكتس) ومنها (ignition) اشتعمال .

النسناس :

اشتعوا من (الناس) صيغة (النسناس) : « خلق في صورة الناس مشق منه لضعف خلقتهم (أ) قال كراع : النسناس (بالفتح) والننسناس (بالكسر) فيما يقال دابة في عداد الوحوش تصاد وتؤكل وهي على شكل الإنسان ، بعين واحدة ورجل ويد تتكلم مثل الإنسان (أ) .. التهذيب : النسناس والننسناس (بالفتح والكسر) : خلق على صورة بنى آدم أشباههم في شيء وخالفوهم في شيء ، وليسوا من بنى آدم ، وقيل هم من بنى آدم .. »

* * *

في درجات ديار الشام يطلقون (النسناس) على القرد . ونحسب أن هذا هو أصل المعنى لما بين القرد و (الناس) الذين اشتق اسمه (النسناس) من اسمهم من شبه صراح . وما أكثر ما قيل في الحكايات والأساطير أن القرد كان إنسانا ثم مسخه الله لانه افترف كذا وكذا من سوء أو معصية ثم أمعنت الحكايات في الخيال نجعلت له رجلا واحدة وعينا واحدة على نحو ما رواه اللسان وغيره .

لا غرابة أن في اشتقاق الننسناس من (الناس) التي اشتعلوا منها كذلك ما هو أرفع من الننسناس تدرا ، نعني النستين (بالكسر) : النساء ، معرفة .

ول يكن ذكر النساء هنا - بعد الننسناس - من باب « ختمها مسك » .

أما قولهم « تائس : ضد توحش ، وبمعنى صار إنسانا » فناشئ من استعمالهم الإنسان بمعنى من ليس حيوانا . لكن الكلمة ملتقبة المعنى ، فإذا نحن ترانا (التائس) أو سمعناها وحدها بدون قرينة لا نفهم منها معنى كلمة (التائس) التي صارت تستعمل حديثاً بمعنى : صار إنسانا - خلافاً للقاعدة التي تسقط النون الثانية من (الإنسان) في مثل هذا الموطن - باعتبارها حرف زائد .

فـ (ignis) تعني النار . وهي قريبة جداً من اسمها العربي (أنيسة) إذا نطقت على طريقة أهلها اللاتين : (انيس) - زنة اجلس . وما زال الحرف (g) في الإيطالية والفرنسية أيضاً ، إذا جاء قبل النون في الكلمة ، يلفظ ياءاً بعد النون ، أي بتغيير (magnetico) - (مانبيتيكو) - (magnetique) بال الأولى و (مانبيتيك) - بالثانية : مغناطيسي .

ويقتضينا الانتصار ورد الحقوق إلى أهلها إن نقول أن ملاحظة هذا الشبه بين الكلمتين (أنيسة) و (انيس) - (ignis) في العربية واللاتينية قد سبقتنا إليها الاب انتناس الكرملي . غير أنه لم يقل إلى أية من اللغتين تنتهي الكلمة أثلاً ، أي أنه لم يقرر هل هي اللاتينية التي اقتبستها جاهزة من العربية أم أن العربية هي التي اقتبستها بمعنى النار من اللاتينية ثم اشترت منها معانى الإبصار والسكن والالفة وغيرها . والسبب هو أنه لم يلتفت إلى تعليل تطورات تسميتها في العربية .

تضيف إلى ما تقدم أن (Ignis) ترد في الإنكليزية باسم علم نسائي على الأغلب ، وتنطق على الطريقة

عبد الحق فاضل